الوَسِيط

فى تراجم أدباء شنقيط

والكلام على تلك البلاد تحديداً وتخطيطاً
وعاداتهم وأخلاقهم وما يتعلق بذلك

تأليف

أحمد بن الأمين الشنقيطى

الطبعة الرابعة

بعنـــاية

فـــؤاد سيد

أمين المخطوطات بدار الكتب المصرية

١٤٠٩ هـ = ١٩٨٩ م

مطبعة المدني
المؤسسة السعودية بمصر
١٨ شارع العباسية - القاهرة ت ٨٢٧٨٥١

مقدمة الطبعة الرَّابعة
بقلم الدكتور محمد المختار ولد اباّهْ

إعادة « كتاب الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط » أصبحت اليوم ضرورة ملحة ، حيث أنه لم يعد موجودا فى أسواق الكتب ، وأن الشباب العربى ، يتطلع بشغف إلى معرفة تراثه الأدبى فى كل قطر من وطنه الكبير . وأن أبناء شنقيط أنفسهم يحتاجون إلى تركيز معارفهم فى البحث عن جذورهم الأدبية .

ولقد رأيت لزاما علىَّ أن أصلح بعض الأخطاء المطبعية التى قال المؤلف أنه تركها لفطنة القارىء ، كما سأحاول القيام ببعض التصويبات التى لم ينتبه إليها الكاتب .

والدوافع التى حثتنى للقيام بهذا العمل متعددة ، أذكر منها : أننى وضَعْتُ تكملة (*) لهذا الكتاب ترمى إلى توسيع دائرة عمله ، فى الفترة التى تناولها وإلى إضافة بعض الشعراء أو بعض النماذج الشعرية التى لم تنشر فى كتابه . والكتابان قد يعطيان صورة أكثر شمولا عن الشعر الموريتانى من نشأته إلى نهاية الثلاثين من القرن الهجرى الرابع عشر .

ومن قبيل العرفان بالجميل أن أعتنى بكتاب صاحبنى فى عهد الدراسة ، حيث لا أجد غيره مصدرا عن شعراء موريتانيا وعن آدابها وعاداتها الاجتماعية والثقافية . لقد ظل هذا الكتاب بالنسبة إلىّ صاحبا وأنيسا ومعلما طريفا . ذلك أن كتاب الوسيط هو الوثيقة الأولى التى شملت مجموعة من أدب موريتانيا ومعلومات عن تاريخها وجغرافيتها وقد صدق المرحوم الأستاذ / فؤاد سيد حين قال : « إنه الكتاب الأوحد الذى أضاف إلى الآداب الشعبية ثروة ضخمة » .

وإن علىَّ حقا وواجبا لمؤلفه الذى تجمعنى وإياه وشائج القربى ، وله

(*) الشعر والشعراء فى موريتانيا (الشركة التونسية للتوزيع - ابريل ١٩٨٧ م) .

الفضل أن حفظ تراث أدب بلاد شنقيط (موريتانيا) الذى لولاه لصار عرضة للضياع .

وينتمى المؤلف إلى عائلة محمد بن الأمين بن عثمان العلوية . وهى عائلة اشتهرت بالذكاء والحفظ ، فهو سيد أحمد بن الأمين بن محمد الأمين بن عثمان ، وأمه خديجة بنت سالم من قبيلة الأغلال . وتربى فى موطنه الأصلى بين « العقل » وبحيرة « الركيز » فى جنوب موريتانيا ، ولقد درس فى أعوامه الأولى القرآن الكريم ومبادىء العلوم الإسلامية والعربية ، وأبدى فى وقت مبكر ميوله للشعر وحفظه .

ولم يذكر المؤلف شيوخه فى هذه المرحلة من تاريخه ، حيث أنه لم يقدم ترجمة عن نفسه ، غير أن صلته الوثيقة بعمه مأمون بن محمد الأمين ، وبوالدنا محمد فال بن بابا ، تجعلنا نعتقد أنهما من بين شيوخه الأوائل ، ولقد ذكر فى كتابه من أساتذته اثنين من مشاهير المدرسين فى عهده وهما شيخ الأساتذة المختار ابن ألما وأستاذ الشيوخ يحظيه ابن عبد الودود .

لقد بدأ المؤلف رحلته العلمية التى قادته أولا إلى تكانت ، ثم إلى أهم عواصم المغرب مثل مكناس وفاس ، والتقى بعلمائها وشيوخها ، مارا بمدينة السمارة ، حيث زار زاوية الشيخ ماء العينين ، وتحدث عنه بكثير من الإعجاب ، وتابع رحلته لأداء فريضة الحج ، وبعد زيارة لتركيا وسوريا ألقى عصا التسيار فى القاهرة ، وظل فيها حتى وافاه الأجل المحتوم ١٣٣١ هـ عن عمر يُقارب الخمسين وخلافا لما ذكر المرحوم فؤاد سيد ، فإن تاريخ ولادته يقارب ١٢٨٠ ، ولقد أدركت أحد لداته وهو محمد عبد الرحمن بن محم العلوى الذى ولد فى هذا التاريخ .

لقد كان المؤلف من نوابغ عصره حفظا وضبطا ، ولقد كتب عن بلاده ووطنه ولم يكتب أى شيء عن نفسه وشخصيته التى يكتنفها شيء من الغموض ، ولا مجال فى هذه المقدمة لمحاولة تحليلها ، وإنا نجمل القول لنذكر أنه كان ذا نزعة صوفية تكاد تشبه نوعا من الرهبانية ، جعلته أولا يتوق إلى الهجرة ويقوم برحلته

العلمية التى أشرنا إليها . وفى مقامه بالقاهرة ظل معتكفا فى خدمة العلم لا يُلهيه عنه بيع ولا تجارة ولا يشغل باله زوج ولا ولد . والذين تعرفوا عليه ، أدهشهم نوع التقشف الذى يمارسه حتى أنهم قالوا عنه أنه أبدى تأسفا شديدا لمَّا سمع أن شرب « الأتاى » قد شاع فى أهل شنقيط واعتبره من البدع المذمومة . ولقد انتقد عوائدهم فى الولائم التى قال أنها مخالفة للسنة ، عند قبائل الزوايا وحسان ، وفى نفس الموضوع اعترض على دعوتهم للأغنياء دون الفقراء .

وتتجلى هذه النزعة الزهدية والصوفية حتى فى تقييمه للأدب ، مثل ما ذكر عن سيد محمد بن الشيخ يسدى ، كما تبدو فى مؤلفاته فى الرد عن الطريقة التيجانية التى ينتمى إليها .

والآثار التى تركها المؤلف تدل دلالة واضحة أن اختصاصاته الأساسية هى علوم اللغة والنحو والآداب . فلقد شرح المعلقات العشر ، وديوانى طرفة والشماخ ، وأمالى الزجاج ، ومثلث ابن مالك وهمزيته فى المقصور والممدود ، كما كتب عن مسائل نحوية مثل « صرف عمر » بسبب الخلاف الذى وقع بينه وبين محمد محمود بن التلاميذ التركزى .

واهتمامه باللغة جاء واضحا فى طريقة نقده للشعر ، حيث أنه يهتم قبل كل شيء بسلامته من اللحن ، وبضبطه وشرح غوامضه . وتختلف طريقته فى معالجة شرح هذا الشعر ، ففى بعض الأحيان يكتفى بضبط بعض الكلمات وتفسيرها ، وهذا ما نلاحظه فى قصائد ابن رازكة ، وإن كانت تتضمن كثيرا من غريب اللغة . وفى بعض الأحيان يشرح القصيدة بيتا بيتا شرحا لغويا دقيقا يكاد يتناول كل كلمة ، وهذا ما نجده حينما تعرض لأكثر شعر احمد ابن الطلب اليعقوبى .

ولقد بين السبب الذى دفعه إلى كتابة الوسيط إذ قال : « إن أحد نبهاء مصر كان يظن أن الآداب العربية لا يتصف بها إلا أهل الأقطار المشرقية ، فحدته الغيرة إلى نشر الدفين » .

ولست فى هذه المقدمة الوجيزة أنوى تقديم دراسة شاملة عن شخصية المؤلف ، أو القيام بتحقيق علمى لكتابه . فلقد قام الأستاذ أحمد باب مسكة ببحث مستقل حول الكاتب . وإنما اكتفى بعرض مقتضب لمنهجيته فيما يخص أهم المواضيع التى طرقها فى كتابه ، كالتاريخ والجغرافيا ، ومظاهر الثقافة ، والنقد الأدبى . وفى مقدمة التكملة التى أشرتُ إليها آنفًا حاولت أن أقتصر على الجوانب التى أعتقد أن ابن الأمين لم يتطرق لها بالتفصيل : مثل ، الحركة الأدبية ، والاتجاهات الشعرية ، وتدوين الشعر ونقده .

ولقد كتب ابن الأمين أكثر الكتاب من حفظه ، وربما استعان بمراسلات إلى وطنه أتته أجوبتها متأخرة ، وهذا ما يفسر لنا التتمات التى أثبتها فى آخر الكتاب .

ولقد يستغرب كل من لم يعرف الموريتانيين فى عصره ، أن يستطيع شخص واحد حفظ هذا العدد الضخم من الشعر والأخبار . ولقد بينا فى مقدمة التكملة ، خصائص الحفظ التى امتاز بها الشناقطة من قديم ، والعوامل التى ساعدت فى تنمية ملكات الحفظ عندهم .

وهذا الكتاب مع ما له من قيمة علمية فائقة ، لم يسلم من ألسنة النقاد ومؤاخذاتهم ، فبعضهم آخذه بالوقوع فى بعض أغلاط فى التراجم ، أو فى المعلومات الخاصة بالتخطيطات الجغرافية ، وبعضهم عابه بإيراد بعض المعلومات غير الصحيحة أو المرضية فى حق بعض القبائل . وسوف نحاول التنبيه على هذه المآخذ فى محالها . كما أن دراسته لم تشمل جميع الأقطار الموريتانية ولا جميع القبائل المشهورة بالشعر ، وهذا ما حاولنا تلافيه ، ولو جزئيا فى التكملة .

وإذا كان فى كتاب الوسيط بعض الأغلاط ، أو الخلل فى الجمع ، فإن للغائب كل العذر من كثير من ذلك . لقد قال ، وهو على حق : « إنه لم يسبق إلى عمل ، ليستمد منه ، وأنه قد جمع أكثر معلوماته من حافظته ، فى بلد ناءٍ عن وطنه لا يجد من يسعفه بإعطاء المعلومات أو تصحيحها ، إلا ما ذكرنا فى بعض

المراسلات التى جاءت متأخرة . والذى يظهر أن تصميم الكتاب نفسه كان نتيجة للطلب الذى قدم إليه ، ولرغبته بالتعريف بأحوال البلاد الاجتماعية والثقافية ، فى كتاب واحد .

غير أن أمانته العلمية لم تمنعه من إيراد بعض المعلومات التى تتطلب كثيرا من التثبت كاعتقاده صحة نوع من السحر ، يسمى « بالسِّلْ » وانتشاره فى عبيد أهل المدن من شنقيط . وقد ذكر « أن العبد ينظر إلى رئة الإنسان وقال إنهم يزعمون أنه إذا أخذ قلب الشخص يواريه فى الرماد فينقلب كبشا بعد مدة قليلة ، وأن المسحور لا يموت حتى يذبح الكبش وهذا لابد أن يكون خرافة ، أما الذى لا يشك فيه فهو أن العبد يأخذ قلب الشخص » !! .

ومن الأحاديث الخرافية ما حكاه عن فهم أولاد أبيير . ولقد أورد خبر الشاب الشاطرى ، وأنه بعدما مكث زمنا يدرس فى مدينة شنقيط ، ذهب إلى المحيط الأطلسى وبسط فراشه على ثبج البحر وتوارى فى الأمواج ، وكأن الكاتب توقع أن ينكر الناس عليه ما حدث به ، فقال إنه من الروايات العجيبة . وإن هذا الخبر شائع عند سكان شنقيط وإنه لو لم يسمعه من الثقات لما رواه .

لقد تناول المؤلف بعض الظواهر الثقافية فى بلاد شنقيط ، وتحدث عن طلب العلم وعن القضاء ، ولكنه لم يخصص حديثا مستقلا عن الشعر ولم يتعرض للحركة الأدبية ، ولا عن تاريخها ولا عن اتجاهاتها الفنية . وجاءت آراؤه فى الشعر والأدب ، على صورة ملاحظات مفردة ، فى معرض حديثه عن الشعراء . ففى ترجمة احمد ابن الطلب قال : « أما جودة شعره ، وكونه لا يقل عن شعر العرب العرباء فإنها محسوسة لا تحتاج إلى تصديق فلان وفلان » ، وقال عن محمد بن سيد عبد الله العلوى ابن الفغ سيد أحمد ، إنه : « غاية فى جودة الشعر » . وقال عن ابنه محمد إنه : « خضعت له رقاب الأدباء وفطاحل البلغاء » . وفى ترجمة الأحول الحسنى قال : « إنه عُنى بتثقيف اللسان حتى صار كشباة السنان » ، وعن سيدى محمد ابن الشيخ سيدى قال : « إنه الشاعر المجيد والصوفى الوحيد ، وإن من تأمل غزلياته وجد فى آخرها ما يدل على أنه كان على جانب عظيم من التصوف » .

وفى دفاعه عن ابن رازكة ، تعرض لبعض الملاحظات ، منها تصحيح المقارنة بين فائية ابن رازكة وفائية الشامى وكلاهما فى مدح نعل النبى ﷺ ، ومنها المقارنة بين بيت ابن رازكة الذى يقول فيه :

تُرى عين الفتى جنات عدن وتُصلى قلبه نار الجحيم

وقول المتنبى :

حشاى على جمر ذكى من الغضى وعيناى فى روض من الحسن ترتع

فذكر أن « جنات عدن » أبلغ من روض الحسن ، وأن « نار الجحيم » أحر من « جمر الغضى » .

وربما يبدو أنه يهتم ببعض المآخذ ، على كبار الشعراء فيذكر ملاحظات أدبية منها قوله عن الشيخ محمد بن حنبل إنه جمع فى بيت له خمس قافات ، وذلك فى قوله :

قد من اقتاد حسن قدك قدما قدر ما أن تكلميه كلاما

وزاد قائلا وهذا مستكره على السمع ، وأورد أن الأصمعى عاب تكرر الحاءات فى بيت لإسحاق بن إبراهيم الموصلى فى قوله :

يا سرحة الماء قد سدت موارده أما إليك طريق غير مسدود
لحائم حام حتى لاحوام به محلًا عن سبيل الماء مطرود

وقال : إن الأصمعى قال له أحسنت فى الشعر غير هذه الحاءات لو اجتمعت فى آية الكرسى لعابتها .

ولم يعب المؤلف على مولود بن أحمد الجواد تكرار الدالات والجيمات فى قوله :

لما دجى جند هند كالدجن جلا أبو دجانة فى الهندى أدجانه

والملاحظة العامة هو أن كل هذه الأراء سواء كانت من قبل الآطراء أو الإنتقاد ليست إلا جزئيات تتعلق بسلامة اللغة ، أو بالقواعد النحوية والبيانية .

لم يكن موضوع كتابه تاريخ شنقيط ، وإنما كان الغرض عنده أن يعرف بأحوالها الاجتماعية وعاداتها السائدة ، ولذلك استعرض نبذا من تاريخها فى الفصل الذى خصصه للحروب بين القبائل ، وذكر الوقائع وأيامها .

فى تلك الحروب ، التى أوردها بشىء من التفصيل وربما استطردها أثناء الحديث عن الأماكن التى دارت بها تلك الوقائع ، وفى تراجمه للشعراء ، لا يفوته أن يذكر بعض أخبارهم ، وأحوال قبائلهم . وفى ذلك نوع من الملاحظات التى تتعلق بتاريخ الأدب .

وقد يأتى بحادثة منفردة ، مثل ماهو الأمر ، لما تحدث عن أهم الأمور التى يؤرخ بها أهل شنقيط ، فقص علينا فى هذا الفصل الحوادث التى وقعت عام « الذريرة » وقصة معشوقة البخارى التى صارت مضرب الأمثال .

ومثل ما رأينا بالنسبة لآرائه فى النقد الأدبى ، فإن لمحاته التاريخية جاءت متفرقة فى شكل جمل من الأخبار الاستطرادية التى تقتصر على جوانب معينة ، وتسجِّل وضعا آنيا دون أن تُنبِّه على عوامل التطور والتغيير . وإن كان هذا لا ينقص من قيمتها الإجمالية ، فإن استغلالها فى التاريخ يحتاج إلى انتقائها وترتيبها ووضعها فى إطار شامل متكامل الحلقات يعطى نظرة واضحة عن تطور البلاد .

لقد كان سيد أحمد بن الأمين أمينا فى نقله ، وموضوعيا فى منهجه . ولقد التزم بأن لا يذكر فى كتابه إلا من روى له شعرا من غير الأحياء فى عصره ، وأن لا يورد من أخباره إلا ما علم . وإذا اعتبرنا عوامل العصبية التى تجعل كل من ينتمى إلى قبيلة يبذل جهده ليرفع من شأنها وليغض من شأن أعدائها ، فإننا نعتقد أنه لم يتورط كثيرا فى هذا النوع من التعصب المقيت .

صحيح أنه بدأ كتابه بشعراء قبيلة العلويين ، وأنه لم يبخل عليهم بالإطراء وحسن الثناء . وإذا أورد مساجلات شعرائهم مع غيرهم ، تأتى أكثر حججه فى صالح شعراء العلويين أكثر مما تأتى للغير . ولكنا نفسر هذه الظاهرة بتأثير المحيط الذى عاش فيه الشاعر أكثر منها إصرارا على تعصب غير نزيه .

فقد أورد جل شعر قبيلة الحسنيين وهم يعتبرون فى ذلك العهد مناوئين لعشيرته ، وأثنى كثيرا على جودة أشعارهم . وإذا لاحظنا أنه لم يأت لشعراء بعض القبائل بما يناسب مكانتهم فى الأدب ، فإننا نعزو ذلك إلى عدم معرفته بهم .

وترجمته لمحمد محمود بن التلاميذ الذى يبدو وكأنه كان له منافسا وعدوا ، وقد جرى بينهما كثير من الخلاف ، فتتبع الكاتب أغلاطه وأبرز كل ما وقع من شقاق مع علماء عصره غير أن هذا لم يمنعه أن يقول إنه انفرد فى المشرق باللغة والأنساب ، كما أيد موقفه فى خلافه مع شيخ المالكية سليم البشرى فى حكم لبس الخف الأسود .

وبما أن كتاب الوسيط قد تضمن مجموعة من المعلومات الخاصة بالعادات والتقاليد الثقافية والاجتماعية ، والأمثلة ، وتخصيص الأماكن الجغرافية ، فإنى لم أر ضرورة لتكرار هذه المعلومات فى كتاب : « الشعر والشعراء فى موريتانيا » .

والذى حاولت القيام به فى مقدمة هذا الكتاب هو التعرض للأمور الخاصة بالحركة الأدبية ، فى تاريخها ، وتطورها . وهكذا يجد القارىء فى هذه التكملة ، عرضا عن تاريخ الشعر فى موريتانيا ونقده وتدوينه ، وتصورا للاتجاهات الأدبية وقطعا شعرية تمثل نماذج من فن كل مدرسة . واجتهدت فى وضع الشعر الموريتانى فى الإطار العام للشعر العربى وفى إعطاء الأسس الأولية لنقده وتقييمه .

ولقد قال صاحب الوسيط إنه لم يأت بعشر عشر الشعر الموريتانى ، وإننى أكرر ما قاله ، حيث أن المجموعة التى فى التكملة لم تعد أن تكون جزءا صغيرا جدا من ديوان هذا الشعر الذى لا يمكن جمعه إلا فى مئات المجلدات .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

حمداً لمن صور الإنسان فى أحسن تقويم ، ورقاه إلى أوج الكمال بمدارج التعليم . وميزه عن سائر الحيوان ، بما أودعه من العرفان . وصلى الله وسلم على سيد ولد عدنان . الذى أيده بالفرقان ، فكانت معجزته لاتنقضى على اختلاف الأزمان .

وبعد : فلما كان تدوين الآثار ، يفيد اعتبار أولي الأبصار ، وبه ينسى للحاضر ، أن يقتدى بالغابر ، وأن يعلم من فحوى سيرته ، حقيقة سريرته ، ندبنى من لاتسع مخالفته . ولا يحسن إلا ملاطفته ، صديقى السيد محمد أمين الخانجى ، أن أجمع له ماتسنى لى ، من شعر أهل بلدى ، مما أستقر فى خلدى ، لاستحسانه ماسمع منى معزواً إليهم ، فأجبته إلى ذلك الطلب ، راجياً من الله حسن المنقلب .

وقد أخبرت بذلك بعض نبهاء المصريين ، فاستغرب ذلك ، ظناً منه أن الآداب العربية ، لايتصف بها غير الأقطار المشرقية ، ولم يقل ذلك عن سوء نية ، ولا خبث فى الطوية ، فحدتنى الحمية العصبية ، إلى نشر ذلك البز الدفين ، لينتشر فى المغربين والمشرقين ، وسميته :

﴿ الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط ﴾

ولما لم يتقدمنى فى هذا من أستمد منه ، ولم يكن فى هذه البلاد من يمد إلىّ يد المساعدة ، كنت حرياً بالمعذرة ، ممن تطمح نفسه إلى أكثر مما جمعت ، وسأرتبه

على أشعار القبائل ، كل قبيلة فى موضعها ، على حسب فكرى ، وسأذيله بفصول عديدة ، يعترف الناظر إليها بأنها مفيدة ، تتضمن تاريخ مدة تلك البلاد ، وحدودها وحروبها ، وأصناف من يسكنها ، إلى غير ذلك من عاداتهم وأخلاقهم وما يتعلق بهم ، والله ولى التوفيق .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعتين : الثانية والثالثة

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ، وآله وصحبه وكل من سار على نور هداه .

أما بعد : فهذه هى الطبعة الثانية[1] ، من كتاب « الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط » .

وقد كانت الطبعة الأولى ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م) بعناية مؤلفها ، العلامة السيد أحمد بن الأمين الشنقيطى ، نزيل القاهرة المتوفى سنة ١٣٣١هـ (١٩١٣م).

وهذا الكتاب ، من خير ما ألف من الكتب التى وضعت فى تاريخ الآداب العربية ، فى بلاد المغرب ، بل هو على الحقيقة ، الكتاب الأوحد لتاريخ الأدب العربى ، فى بلاد شنقيط ، ودراسة أحوالها الأدبية والاجتماعية ، ووصف عاداتها وتقاليدها ، وطرق التربية والتعليم فيها ، وذكر الحوادث والحروب ، التى جرت بين قبائلها ، وما أبدعته قرائح شعرائهم ، من أشعار تتصل بجميع فنون القول ، من مفاخرة ومهاجاة ومديح وغزل ، وغير ذلك من الشعر الرصين ، الذى يعيد لنا صورة من أيام العرب ، ووقائعها المشهورة .

ولا شك أن الباب الأخير من هذا الكتاب ، الذى ضمنه مؤلفه ، هذه المعلومات الفريدة النادرة عن هذه البلاد ، ووصف مجتمعها ، وما يقوم عليه فيها نظام الحكم والإدارة ، والقضاء والتعليم . والتجارة والزراعة والطب ، وما أورده من الأخبار التى تتصل بالمعارف البدائية ، والقبلية للسكان ، كالسحر والتنجيم والتطبيب ، وغير ذلك ، لاشك أن هذه المعلومات ، قد يسرت للباحثين حاجتهم لدراسة أحوال هذه البلاد ، والتعرف عليها ، كما أن من الممتع حقاً ، صنيع

(١) طبعت الطبعة الثانية سنة (١٣٧٨ هـ — ١٩٥٨) وقد اعتبرنا هذه المقدمة لهذه الطبعة الثالثة أيضاً .

المؤلف ، فى إيراده جغرافية بلاده وتخطيطها ، وذكر أسماء قراها ، ونجوعها ، والتعريف بها تعريفاً مفيداً نافعاً ، وتحديد أماكن مياهها وآبارها ، ومراحل الطرق فيها ، وأسماء منازلها ، مما يصح أن يعتبر ذيلا لكتب البلدان والجغرافية ، واستدراكاً على مافات مؤلفيها ، كياقوت الحموى ، وأبى عبيد البكرى .

ولقد أضاف المؤلف إلى آدابنا الشعبية ، ثروة ضخمة من الأمثال العامية ، رتبها على حروف المعجم ، وشرحها شرحاً واضحاً ، مع مقارنتها بأشباهها من الأمثال العربية المعروفة ، كما قدم لنا مجموعة هامة من الكلمات الدارجة العامية ، فى اللهجات المختلفة ، الجارية على ألسن الناس فى هذه الأصقاع ، مثل : البربرية والشلحية ، والحسانية ، بالإضافة إلى معلومات قيمة عن نشأة هذه اللغات ، وتطورها ، ومواطن استعمالها .

ونستطيع بعد ذلك أن نقول ، إن المؤلف حاول محاولة موفقة إلى حَد بعيد ، فى أن يقدم لنا مجموعة كبيرة من شعراء هذه البلاد ، وأدبائها ، مع نماذج من شعرهم ، مما حفظه أو جمعه لهم . وهو كما يقول : لايبلغ عشر العشر ، مما قاله هؤلاء ، أو حفظه الناس عنهم .

وقد ساعد المؤلف على ذلك ، حافظته الواعية العجيبة ، ومعرفته الواسعة بأخبار بلاده وتاريخها ، وتنقلاته العديدة بين ربوعها ، ولقائه الشخصى لأكثر هؤلاء الأعلام ، الذين ترجم لهم ، وروى عنهم أشعارهم .

ومن العجيب ، أن هذا الكتاب الذى أرّخ فيه مؤلفه للأدب والعلم فى شنقيط ، وخلّد فيه شعراء وأدباء وعلماء أبنائها ، قد خلا من ترجمة صاحبه ، ولم يفعل كما فعل الكثيرون قبله ، ممن ترجموا لأنفسهم فى مصنفاتهم ، فحرمنا بذلك من تاريخ حياته ، وذكر أحواله ، وبيان آثاره ، حتى إن جميع الكتب التى ذكرته بعد وفاته ، لم تزد عن أنه كان نزيل القاهرة ، وتوفى سنة ١٣٣١ هـ

عن اثنين وأربعين عاماً[١] .

ومع ذلك ، فسأحاول أن أقدم للقراء ، نبذة عن تاريخ حياته ، جمعتُ شتاتها ، مما ذكره عن نفسه فى ثنايا كتابه هذا ، وأذكر معها بيان آثاره ، ومصنفاته :

ترجمة المؤلف

ولد سنة ١٢٨٩هـ (على الأرجح[٢]) . ونشأ فى بلاده ، وتلقى العلم فيها على شيوخها ، ثم قام برحلة فى أنحاء بلاده ، درس فيها حالتها الاجتماعية ، وتعرّف مواطنها ، والتقى بعلمائها وأدبائها ، وجمع فيها أكثر مادة كتابه هذا ، جمعاً دقيقاً ممتعاً .

وفى سنة ١٣١٥هـ ، بدأ رحلته إلى المشرق ، فأدّى فريضة الحج سنة ١٣١٧ ، والتقى هناك بعلماء مكة والمدينة ، فأخذ عنهم واستفاد منهم . ثم خرج من هناك قاصداً بلاد الروسيا ، وخاصة المواطن الإسلامية فيها ، وانتقل بعد ذلك إلى تركيا ، فدخل الأناضول ، والآستانة ، وأزمير ، وزار معاهدها العلمية ومكتباتها النفيسة ، وعاد من هناك سنة ١٣١٩ ، قاصداً سوريا ، فاجتمع ببعض أفاضلها وعلمائها .

ويبدو أنه دخل القاهرة سنة ١٣٢٠ . لأنه طبع كتابه « الدرر اللوامع على همع الهوامع » فيها سنة ١٣٢٠ . واستقر فى القاهرة من ذلك التاريخ ، متصلاً بالأوساط العلمية فيها ، مكباً على الدرس والتصنيف والتحقيق ، وكان شديد الاتصال بعلماء مصر فى ذلك العصر ، وبخاصة السيد محمد توفيق البكرى ، نقيب

---

(١) انظر معجم المطبوعات العربية لسركيس ص ١١٤٨ — ١١٤٩ ومعجم المصنفين لرضا كحالة ١ : ١٧١ والأعلام للزركلى ١ : ٩٧ .

(٢) لأنه توفى سنة ١٣٣١ عن اثنتين وأربعين عاما .

الأشراف وشيخ الطرق الصوفية ، وقام له بشرح كتابه القيم « صهاريج اللؤلؤ » بالاشتراك مع السيد « أبو بكر لطفي المنفلوطي » ، وأيضاً العلامة المرحوم أحمد تيمور باشا ، صاحب الخزانة التيمورية الحافلة بالمخطوطات والمطبوعات[١] ، وهو الذي أمدّه بنسخة من القصيدة الميمية المشهورة ، لحميد بن ثور الهلالي ، بعد أن تطلّبها المؤلف في كثير من البلاد التي رحل إليها دون جدوى ، وأخيراً وجدها عند المرحوم تيمور باشا ، فأثبتها في كتابه مع معارضتها للشاعر « أحمد بن الطلب اليعقوبي » .

ومن المعروف أن المؤلف كان على صلة وثيقة ، طول مدة إقامته بمصر ، بالمرحوم السيد أمين الخانجي الكتبي الشهير ، وهو الذي هيأ له وسائل التأليف والتحقيق ، ويسر له طبع جميع ماأخرجه من الآثار تقريباً . وقد علمت أنه أعدّ له سكناً خاصاً ، في بناء المطبعة التي كانت تطبع هذه الكتب ، وهي المطبعة الجمالية ، وكانت بحارة التتري ، داخل حارة الروم ، بشارع الغورية .

ويمكننا أن نقول ـ استناداً إلى ماذكره المؤلف في ثنايا كتابيه ـ أنه كان على فهم تام ومعرفة كبيرة ، بالعلوم الأصولية والفقهية ، كما كان له دراية بالتعاليم الصوفية[٢] . هذا فضلاً عن علو كعبه في علوم العربية وآدابها ، كما يظهر ذلك جلياً من الجهد العلمي واللغوي ، الذي بذله في شرح وتحقيق الكتب التي تولى نشرها من عيون الأدب العربي ، ودواوين فحول الشعراء وأصول اللغة ، ويكفي أن نعلم أنه تصدّى للعلامة الكبير الشيخ محمد محمود بن التلاميد التركزي الشنقيطي ، في الرد على أبحاثه في : « صرف عمر » برسالة سماها : « الدرر في منع عمر[٣] » . وربما

---

(١) هي الآن من أنفس مانقتنيه دار الكتب المصرية .

(٢) كما يفهم ذلك من مؤلفه في الدفاع عن الطريقة النيجانية المسمى : « درء النبهاني عن حرم سيدي الشيخ أحمد التيجاني » .

(٣) انظر تفاصيل هذه المناقشة العلمية وأسبابها ضمن ترجمة ابن التلاميد في ص ٣٨١ ، وما بعدها من هذا الكتاب .

كان لهذه المناقشات العلمية بينهما ، أثر فى الترجمة التى وضعها له المؤلف فى كتابه، وقسا عليه فيها فى بعض المواضع ، وما وجهه إليه من انتقادات ، رغم أن هذه الترجمة لابن التلاميد ، تعتبر من أوفى ما كتب عنه ، وعن تاريخ حياته .

آثاره ومصنفاته

تنقسم آثار المؤلف إلى قسمين . أحدهما : الكتب المؤلفة. والآخر : الكتب التى شرحها وعلق عليها :

فالكتب المؤلفة هى :

١ ـ الدرر اللوامع شرح جمع الجوامع (فى العلوم العربية) فى مجلدين طبع القاهرة سنة ١٣٢٠

٢ ـ الدرر فى منع عمر » سنة ١٣٢١

٣ ـ طهارة العرب طبع قازان سنة ١٣٢٦

٤ ـ شرح المعلقات العشر وأخبار قائليها طبع مصر سنة ١٣٢٩

٥ ـ الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط » سنة ١٣٢٩

٦ ـ درء النبهانى عن حرم سيدى أحمد التيجانى » سنة ١٣٣٠

والكتب التى شرحها هى :

١ ـ ديوان طرفة بن العبد طبع قازان سنة ١٩٠٩م

٢ ـ أمالى الزجاجى طبع مصر سنة ١٣٢٤

٣ ـ صهاريج اللؤلؤ للسيد توفيق البكرى » سنة ١٣٢٤

٤ ـ ديوان الشماخ بن ضرار » سنة ١٣٢٧

٥ ـ ليس فى كلام العرب لابن خالويه » سنة ١٣٢٧

٦ ـ الإعلان بمثلث الكلام لابن مالك » سنة ١٣٢٩

٧ ـ تحفة المودود فى المقصور والممدود لابن مالك » سنة ١٣٢٩

٨ ـ تصحيح كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى (طبعة الساسى)

ومن هذا الثبت المشرف لآثار المؤلف ، نرى أنه كان دائب العمل ، وافر الجهد فى المدة التى نزل فيها بالقاهرة ـ وهى عشر سنوات تقريبا ـ والتى انتهت بوفاته صبيحة يوم الأربعاء الثامن عشر من شهر رمضان سنة ١٣٣١ (سنة ١٩١٣م)

وكما كان للمرحوم السيد أمين الخانجى فضل إخراج الطبعة الأولى من هذا الكتاب ، فإن لابنه السيد نجيب الخانجى الذى يتابع نهج أبيه ، فى إحياء ذخائر التراث العربى ، فضل إخراج الطبعة الثانية [وهذه الطبعة الثالثة] .

و إن عنايته بتوثيق الصلات العلمية بين المشرق والمغرب ، واهتمامه بنشر عيون التراث المغربى والأندلسى ، التى أصدرها فى السنوات الأخيرة ، وبخاصة المكتبة الأندلسية ، وطبقات علماء أفريقية ، وقضاة قرطبة وغيرها . لأكبر دليل على مدى رغبته ، لتحقيق الهدف الذى وضعته « مؤسسة الخانجى للنشر » من دوام الاتصال الفكرى بين الأمة العربية ، فى الشرق والغرب ، ونموه وازدهاره .

والله سبحانه وتعالى أسأل ، أن ينفع العلماء والطلاب بهذا الكتاب ، وأن يجزل لمؤلفه الأجر والثواب ، ويهدينا جميعاً إلى مافيه الخير والصواب .

فؤاد سيد

أمين المخطوطات بدار الكتب المصرية

القاهرة { سنة ١٣٨٠ هـ
« ١٩٦١ م

فهرست الكتاب

صحيفة

مقدمة الكتاب

قبيلة إدَوْعَل

١ عبد الله بن محمد العلوى المعروف بابن رازكه

١٨ فائية ابن رازكه المذكور التى مدح بها نعله صلى الله عليه وسلم معارضاً بها فائية أبى الحسن الشامى الفاسى

٢٤ حرم بن عبد الجليل العلوى

٣٠ محمد بن سيدى عبد الله العلوى

٣٤ باب بن أحمد بيب العلوى

٣٧ سيدى عبد الله بن الحاج إبراهيم

٤٠ أبدّ بن محمود العلوى

٤٧ محمد بن سيدى محمد العلوى

٦٩ التجانى بن باب بن أحمد بيب العلوى

٧٢ الهادى بن محمد العلوى

٧٨ حرم بن عبد الله المعروف بلكنيز العلوى

٧٩ محمد الحسن بن محمد عبد الجليل العلوى

٨١ إجدود بن أكتوشن العلوى

٨٣ محمد محمود بن أكتوشن العلوى

٨٣ سيدى محمد بن عبد الله العلوى

٨٥ العم بن أحمد فال العلوى

صحيفة

٨٧ فتى بن الحاج العلوى

٨٩ سيدى أحمد بن محمد الصغير العلوى

٩٠ محمد لحبيب بن لمرابط العلوى

٩١ عبد الله بن الحاج أحماه الله الغلاوى

٩٣ النابغة الغلاوى

قبيلة إدَيْقُب

٩٤ أحمد بن الطلب اليعقوبى

١٠٩ مطلب فى الشماخ بن ضرار

١٢٨ « ميمية حميد بن ثور الهلالى

١٥٥ مطلب فى جيمية لامية أعشى قيس

١٩٠ مولود بن أحمد الجواد اليعقوبى

٢١٤ لمجيدرى بن حبيب الله اليعقوبى

٢١٧ المأمون اليعقوبى

٢١٨ البخارى بن المأمون اليعقوبى

٢١٩ شيخنا اليعقوبى

٢٢٠ محمد مولود اليعقوبى

٢٢١ العتيق بن أحمد اليعقوبى

٢٢٣ صُلاّحى بن المامى اليعقوبى

شعراء بنى ديمان

٢٢٣ محمد بن سعيد اليدالى الديمانى

٢٣٦ محنض باب بن عبيد الديمانى

٢٣٨ ابن عبدم الديمانى

٢٣٩ صلاح الديمانى

صحيفة
٢٣٩ المختار بن ألما الديمانى

شعراء أولاد أبْبَير

٢٤٠ الشيخ سيدى بن المختار الابيرى
٢٤٣ سيدى محمد بن الشيخ سيدى الابيرى
٢٧٧ المختار بن بون الجكنى
٢٨٤ ابن عبد الجكنى
٢٨٤ ابن مقامى الجكنى
٢٨٤ الامام بن محمذ الفغ الجكنى

شعراء إدَا بَلِحْسَن

٢٨٧ سيدى عبد الله بن أحمد دام البوحسنى
٢٩٩ محمذ بن السالم البوحسنى
٣٠٤ عبد الله الاحول البوحسنى
٣١١ محمد بن حنبل بن الفال البوحسنى
٣٢٤ مقصورة أبى صفوان الأسدى
٣٢٥ هبة الله البوحسنى
٣٢٥ أحمد باب بن عينين البوحسنى
٣٣٦ ابن الأمين بن الحاج »
٣٣٩ بلا بن مكبد »
٣٣٩ محمد سالم بن يا محمد »
٣٤٠ أبو بكر بن فتى »
٣٤٠ أشويعر »
٣٤١ ابن المحمود »
٣٤٢ عبد الله بن أىّ »
٣٤٢ محمد بن لحظان »
٣٤٢ الطائع »

صحيفة
شعراء تندغ

٣٤٣ محمذ فال بن متالى التندغى
٣٤٥ معاوية بن الشد »
٣٤٦ المصطفى بن جمال »
٣٤٧ أحمد بن أمين »

شعراء مِدْلِشْ

٣٤٨ بوفين المجلسى
٣٥٠ الاحنف »
٣٥٠ المجدد البوحمدى المجلسى
٣٥٠ أحمد البدوى »
٣٥٢ حماد »
٣٥٦ مولود بن أغشممت المجلسى
٣٥٨ محمد عثمان المجلسى
٣٥٨ سيد أحمد بن الصبار المجلسى

قبيلة لِحْرَاكات

٣٦٠ باباه الاحراكى
٣٦٠ أحمد بن هدار الاحراكى

باب الأفراد

٣٦١ سيدى المختار بن أبى بكر الكنتى
٢٦١ عبد الله بن سيدى محمود الحاجى
٣٦٥ الشيخ ماء العينين
٣٦٨ أدبيج بن عبد الله الكمليلى
٣٧٢ غالى بن المختار فال البصادى
٣٧٤ عبد الودود بن عبد الّ الالفغى
٣٧٧ محمد مولود بن أحمد فال
٣٧٧ الحسن بن زين القمانى

صحيفة	
٣٨٠	أعمر مولود بن شيبة الانتابى
٣٨١	محمد محمود بن التلاميد التركزى
٣٨٢	مطلب فى مسألة عمر وصرفه
٣٩٠	مناظرته مع الشيخ سليم البشرى
٣٩٢	سفره إلى اسبانيول
٣٩٧	مطلب قصيدتى ابن رازكه العلوى
٤٠٤	تتمة لمحنض باب الديمانى
٤٠٥	تتمة لحرم بن عبد الجليل العلوى
٤٠٧	تتمة لسيدى محمد بن الشيخ سيدى
٤١٨	تتمة لمولود اليعقوبى
٤٢٢	الكلام على شنقيط وتخطيطها
٤٢٢	الكلام على شنقيط ، هل هى من السودان أو من الغرب
٤٢٤	الكلام على تاريخ عمارة شنقيط
٤٢٧	» على موقع بلاد شنقيط
٤٢٧	» على جغرافية بلاد شنقيط
٤٢٨	» على آدرار تفصيلا
٤٢٨	» على طرق حيط آدرار
٤٢٩	» على أظهر
٤٣٢	» على أوجفت
٤٣٣	» على آدرار الشرقى
٤٣٣	» على وادان
٤٣٤	» على الباطن ، وهو القسم الثانى من آدرار
٤٣٥	» على هواء آدرار
٤٣٥	الكلام على الزرع فى آدرار
٤٣٥	» على أشجار آدرار
٤٣٧	» على لمصايب
٤٣٧	» على مقطير
٤٣٨	» على الساقية الحمراء
٤٣٩	» على إينشيرى
٤٣٩	» على تيرس
٤٤٣	» على الحط
٤٤٣	» على اركيطه
٤٤٣	» تكانت
٤٤٤	» على تيججكه
٤٤٩	» على تامورت انعاج
٤٥٠	» على أشجار تسكانت
٤٥٠	» على التاغصة
٤٥١	» على اركيبه
٤٥٢	» على اركيبه الكحله
٤٥٣	» على أركيز
٤٥٣	» على أفله
٤٥٤	» على آوكار
٤٥٦	» على الحوض
٤٥٧	» على أظهر
٤٥٨	» أزداد
٤٥٨	» على أروان
٤٥٨	» على لمريه
٤٥٩	» على تيشيت
٤٦٠	» على أكان
٤٦١	» على فاى

صحيفة
٤٦٤ الكلام على آمشتيل
٤٦٥ « على لعكل
٤٧٢ « على إكيدى
٤٧٤ « على أظهر وانوللان
٤٧٤ « على شمامه
٤٧٥ « على سكان شنقيط وجنسهم
٤٧٨ الكلام على الزوايا
٤٧٨ ما يحمد من أمر الزوايا وما يذم
٤٧٩ الكلام على حسان وسيرتهم
٤٨٠ « على الترارزة
٤٨١ « على أبناء دامان
٤٨٢ « على حروب الترارزة
٤٨٣ « على غدرة محمد لحبيب
٤٨٣ « على غدرة سيدى بن محمد لحبيب
٤٨٤ الكلام على غدرة أعل بن محمد لحبيب
٤٨٥ الكلام على حروب حسان
٤٨٥ حروب تغرجنت وأبناء بنيوك
٤٨٦ حروب إدوعيش
٤٨٦ الكلام على أولاد امبارك
٤٨٨ « على آمادى
٤٩٠ « على حسان شنقيط من حيث الشجاعة فى الحرب
٤٩٠ حرب بكار وأشراتيت
٤٩١ حروب الترارزة

صحيفة
٤٩١ الكلام على أحيى من عثمان
٤٩٢ حروب الزوايا وحسان
٤٩٣ « شرببه
٤٩٣ « ناصر الدين
٤٩٤ « كنته وإدوعيش
٤٩٥ « الزوايا مع بعضهم
٤٩٥ « إدوعل البيض والكحل
٤٩٧ « أهل شنقيط وأهل وادان
٥٠٢ « إدوعل وإدابلحسن
٥٠٣ يوم لغبيبيرى
٥٠٤ « إبرزيك
٥٠٤ « بوطريفيه
٥٠٥ « إبلحنوشه
٥٠٥ « تندوجه
٥٠٦ حرب كنته وإدوالحاج
٥٠٧ حرب كنته وتجكانت
٥٠٧ حروب تجكانت والاغلال
٥٠٨ حروب أنبيز
٥٠٩ حروب كنته وأولاد بسباع (أى أبى السباع)
٥١١ الكلام على لغات شنقيط وأصلها
٥١٢ « على كلام أزناكه
٥١٣ « على اللغة الحسانية
٥١٣ « على الجيم
٥١٥ « على الضاد
٥١٧ « على العلم فى شنقيط
٥١٧ كيفية التعليم عندهم

صحيفة
٥١٨ تعب العالم فى شنقيط وما يكابده
٥١٩ كيفية إلقاء الدروس عندهم
٥١٩ تأديب المدرس للطلبة
٥٢٠ الكلام على طلب العلم
٥٢١ التجارة فى شنقيط
٥٢٣ تجارة أهل شنقيط فيما بينهم
٥٢٣ الصناعة شنقيط
٥٢٤ الزراعة فى شنقيط
٥٢٤ عاداتهم فى الزواج والولائم
٥٢٥ الكلام على التاريخ فى شنقيط
٥٢٩ الكلام على المكاتبة أرض شنقيط
٥٣١ القضاء فى شنقيط
٥٣٢ البيع والشراء فى شنقيط

صحيفة
٥٣٢ مايق من الشريعة فى شنقيط ماذهب
٥٣٣ الحيوان فى شنقيط
٥٣٣ صفة الخيل العتاق فى شنقيط
٥٣٤ السباع فى شنقيط
٥٣٦ الحيات فى شنقيط
٥٣٨ الكلام على الصحة والمرض بشنقيط
٥٤١ الكلام على السحر فى شنقيط
٥٤٢ الكلام على أهل شنقيط
٥٧٥ الطب فى شنقيط
٥٧٨ خاتمة الكتاب
٥٧٨ الشباب الشاطرى
٥٨١ تصويب واستدراك